

محاضرة

الإيمان بالرسول

1- معنى النبوة والرسالة :

جاء في النصوص الدينية إطلاق كلمات النبي والرسول والنبوة والرسالة على حقائق شرعية وفق الاصطلاح الشرعي.

أ- النبوة :

- في اللغة: مأخوذة من النبأ، أي الخير. قال تعالى : (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ)، أو من النبوة، وهي ما ارتفع من الأرض، يقال: نبأ الشيء إذا ارتفع.

-وفي الاصطلاح الشرعي: اصطفاء الله عبدا من عباده بالوحي إليه.

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَالْإِسْمَاعِيلَ عَلَى الْعَالَمِينَ) آل عمران : 33

(قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ) النمل: 59

(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) الحج: 75

هذه الآيات تدل على أن النبوة في القرآن هي اصطفاء واختيار وهبة من الله تعالى يختص بها من يشاء من عباده، ولا تخضع لكسب الإنسان كما ذهب إليه الفلاسفة. يقول الراغب الأصفهاني: "إن النبوة سفارة بين الله وبين ذوي الأبواب لإزالة عنهم فيما يحتاجون من مصالح الدارين وهذا حد كامل جامع بين المقصود من النبوة وهو السفارة المخصوصة وبين منتهاتها وهو إزاحة عنهم".

ويقول البيجوري: "إن النبوة هي اختصاص العبد بسماع الوحي من الله تعالى بحكم شرعي تكليفي سواء أمر بتبليغه أم لا، وهكذا الرسالة بشرط أن يؤمر بالتبليغ".

والنبي في الاصطلاح : هو إنسان اختاره الله وخصّه بتبليغ الوحي إلى قومه.

ب- الرسالة:

الإرسالُ في اللغة: التوجيه بأمر ما، فالرسول هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أو يقوم بما أمره به مرسله. وفي الاصطلاح الشرعي: تكليف الله نبيا من أنبيائه بتبليغ شريعته.

والإيمان بالرسول عليهم السلام واجب، ولا ينكر أحد نبوتهم، ومن أنكر نبوة واحد منهم، أو أنكر رسالة من بعث منهم برسالة فقد كفر، وقد وهبهم الله صفات العصمة والصدق والأمانة والتبليغ.

- 2- الفرق بين الرسول والنبي:

ذكر الإمام الماوردي أن العلماء اختلفوا في الأنبياء والرسول على قولين:

القول الأول: أن الأنبياء والرسول واحد فالنبي رسول والرسول نبي والرسول مأخوذ من تحمل الرسالة والنبي مأخوذ من النبأ (وهو مذهب جمهور المعتزلة).

القول الثاني: أما من فرق بين النبي والرسول فقد اعتمد على الآية الكريمة (وما أرسلنا من قبلك من

رسول ولا نبي) في الحج 52 ، فدللت الآية على أن اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات، وذكروا في الفرق بينهما عدة فروق منها:

1- أن الرسول يأتيه الوحي من الوجوه كلها والنبي هو من له الوحي المنامي والإلهامي فقط.

2 - الرسول هو الذي يأتي بالشرائع والأحكام، والنبي هو الذي يحفظ شريعة من قبله كأنبياء بني إسرائيل الذين بعثوا لتصحيح شريعة موسى -عليه السلام-

3- القرآن الكريم وصف بعض الأنبياء بالنبوة والرسالة، وهذا دليل على أن الرسالة أمر زائد على النبوة، كقوله تعالى في حق سيدنا موسى -عليه السلام- : (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا) مريم 51 ، وعلى ذلك: كل رسول نبي، وليس كل نبي رسول.

-3- عدد الأنبياء والرسول عليهم السلام:

ذكر القرآن الكريم خمسة وعشرين نبيا ورسولا بأسمائهم، أما عندهم فهم أكثر من ذلك، قال تعالى:

(ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) النساء 164 وهم: آدم، وإدريس ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، ويونس، وإسماعيل وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب وموسى، وهارون، واليسع، وذو الكفل، وداود، وزكريا، وسليمان، والياس، ويحيى، وعيسى، ومحمد - صلوات الله عليهم جميعا-.

وجاء ذكر أسماء الأنبياء والرسل في مواضع المتفرقة، فذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ترفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضّلنا على العالمين) الأنعام 83-84-85-86

وورد ذكر الآخرين في مواضع من القرآن الكريم، قال الله تعالى:

(وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترّون) هود 50

(وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوما عبدوا الله ما لكم من المغيرة أفلا تتقون) الأعراف 65

(وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره) عود 61

(وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره) الأعراف 73

(وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) هود 84

(وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) الأعراف 85

(إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) آل عمران 33

(واسماعيل وإدريس وذو الكفل كل من الصبرين) الأنبياء 85

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الفتح 29

فهؤلاء الرسل والأنبياء يجب الإيمان برسالتهم ونبوتهم تفصيلاً، وأما الأنبياء والرسل الذين لم يقصصهم القرآن علينا، فقد أمرنا أن نؤمن بهم إجمالاً. وليس لنا أن نقول برسالة أحد من البشر أو نبوته مادام القرآن لم يذكره في عداد الأنبياء والرسل، ولم يخبرنا به رسول الله.

4-أولو العزم من الرسل:

أولو العزم من الرسل كما ذكر كثير من العلماء خمسة هم: محمد، وإبراهيم، وموسى، ونوح، وعيسى -عليهم أفضل الصلاة والسلام-، وقد ذكرهم الله تعالى في قوله: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) الأحزاب 7

5-الشروط الشرعية للنبي والرسول:

استنبط علماء العقيدة مجموعة من الشروط التي ينبغي توفرها في النبي والرسول وهي:

أ- البشرية: فليس هناك رسول من الجن أو الملائكة، لقوله تعالى: [وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ] الأنعام 9، وقال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) الكهف 110، وقوله الحق: [قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ] إبراهيم 11.

ب الحرية: لأن العبودية من النقائص التي تقدح في شخصية الرسول، وتجعله عرضة للسخرية من قبل الكفار، كما أنها قيد لا يتفق مع المهمة التي أرسل الرسول من أجلها.

ج - الذكورة: لأن طبيعة المرأة لا تصلح لهذه المهمة فالنبوة خاصة بالرجال، قال تعالى: (ما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) الأنبياء 7، وقال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) النحل 43

د- السلامة من المنفر: حتى لا يبتعد الناس عنه ويتفرقون، سواء كان هذا المنفر مرضا معديا أو خلقيا أو خلقيا بأن يكون متصفا بمرذول الصفات أو الفظاظ، قال تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) آل عمران 159

وقال الله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) الأحزاب 21

هـ - الصدق:

الصدق هو "مطابقة الكلام للواقع، فالرسل صادقون فيما أخبروا به عن الله، لأن الله سبحانه أيدهم بالمعجزات، فلو لم يكونوا صادقين للزم عدم تأييد الله عز وجل إياهم بالمعجزات."

ولقد وصف الله تعالى أنبياء بالصدق على سبيل التعيين أو الإجمال في العديد من الآيات في كتابه العزيز، كقوله تعالى عن إسماعيل عليه السلام: (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبينا) مريم 54

وقوله عن موسى عليه السلام: (حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) الاعراف 105

وقوله عن يوسف عليه السلام : (يوسف أيها الصديق) يوسف 46

وقوله في حق نبينا محمد ﷺ - : (وصدق الله ورسوله) الأحزاب 22

وقوله في حقه أيضا: (فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) الزمر 32.33

و-الأمانة:

هي صفة ملازمة لصفة الصدق، وتشمل هذه الصفة الكثير من الفضائل: كالمحافظة على حقوق الناس وتبليغ الدين (يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) المائدة 67

ز -الفطنة:

وهي التفتن، والتيقظ الذكاء لإلزام الخصوم ونقض دعاويهم الباطلة، وذلك لأن الرسول له مهمة علمية، ومهمة تربوية، ومهمة قيادية وسياسية، تستدعي التحقق بهذه الصفة، وقد ورد في القرآن الكريم آيات تدل على اتّصاف الرسل بصفة الفطنة والذكاء وقوة الحجة، قال تعالى:

(قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأْتَنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ) هود 32

(ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) البقرة 258

(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة واجدلهم بالتي هي أحسن إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ. وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) النحل 125

ز- العصمة:

هي حفظ الله أنبيائه ورسله من النقائص، وتنزيههم عن الوقوع في المعاصي، فقد عصم الله تعالى أنبيائه من أية نقيصة تقدر في دينهم وطاعتهم الله عز وجل، قال تعالى: (الله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين) المائدة 67، وقال تعالى ذكره: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِمُكَاْفِرِينَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَهَٰذَا هُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ) الأنعام 89-90

-الحكمة من إرسال الأنبياء والرسل:

أرسل الله - عز وجل - الرسل والأنبياء لحكم كثيرة، منها:

-هداية البشر إلى معرفة الخالق وتوحيده:

إن الفطرة البشرية بذاتها تعرف وجود الخالق وتنتجه إليه بالعبادة . ولكنها كثيرا ما تضل، فتصور الخالق على غير حقيقته وتشرك معه الهة أخرى. ومن ثم يرسل الله الرسل ليعرّفوا البشر بحقيقة خالقهم وينفوا من عقولهم ونفوسهم التصورات الباطلة عن الله سبحانه وتعالى وما يترتب عليها من الخرافات في الفكر والسلوك وليعالجوا بصفة خاصة قضية الشرك، وهي أشد ما يتعرض له البشر من انحراف في تصورهم للخالق وسلوكهم نحوه، يقول الرسل الأقوامهم:

(اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) هود 84، (وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) الأنبياء 25

-إقامة الحجة على الناس:

أرسل الله تعالى - الرسل ليقيم الحجة على الناس حتى لا يأتوا يوم القيامة فيخاصموا الله على أنه لم يرسل لهم أحداً يعرفهم به، قال الله تعالى (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) طه 134 .

ويوم القيامة يأتي الله تعالى بكل رسول أمام قومه ليقيم عليهم الحجة، ويُشهد أنه بلّغهم رسالة: (ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجننا بك شهيداً على هؤلاء) النحل 89 وعندها يضطر هؤلاء المكذّبين إلى الاعتراف بذنبهم، خاصّة وهم يساقون إلى المصير الرهيب، وتساءلهم الملائكة عن الرسل التي أرسلت إليهم، فلا يستطيعون الإنكار لا سيما عندما يلقون في النار وتحيط بهم العذاب من كل مكان، قال تعالى ذكره: (قالوا أولم تك تأتيكم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ظلال) غافر 50

القدوة الحسنة:

إن من مهمّات الرسل ضرب المثل للناس في امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، فيكونوا قدوة وأسوة حسنة لهم، يمكن إصلاحهم من خلال ذلك، قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) لأحزاب 21

وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى القدوة التي ينبغي إتباعها وذلك في قوله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) آل عمران 31